٢٥٨

كأنهم قالوا لو كنت صادقا في أنك رسول الله الذي تصفه بالقدرة على كل شيء وعز زعمك فهلا أنزل عليك
كنز أي مال كثير من شأنه أن يجعل كنزا أي لأ مدخرا فإن الكنز اسم للمال المدفون وهو لا ينزل فوجب أن يكون المراد
به ههنا ما يكنز وقد جرت العادة بأن يسمى المال الكثير أيضا هذا الاسم فكان القوم قالوا هلا أنزل عليك ما
تستغني به وتغني أحبابك من الكد والتعب وتستعين به على مهماتك وتعين أنصارك أو كنت صادقا
فهلا أنزل الله معك ملكا يشهد لك على صدق قولك ويعينك على تحصيل مقصودك ويزيل الشبهة في أمرك
فلما لم يفعل إلهك ذلك فأنت غير صادق فأجابهم الله بأن بين أنه عليه السلام نذير بالعقاب وبشير بالثواب
ولا قدرة له على إيجاد هذه الأشياء والذي أرسله هو القادر على ذلك فإن شاء فعل وإن لم يشاء لم
يفعل ولا اعتراض لأحد عليه في فعله وحكمه قوله أم منقطعة لعدم ما تتصل هي به وتكون بمعنى بل والهمزة مقدرة
هي عليه والتقدير على الأصل وجعل صاحب التيسير داخلة التقدير أيكذبونك أم يقولون افتراه
ومما بعده أيكتفون بما أوحينا إليك معجزة أم يقولون إنه ليس من عند الله بل افتراه محمد صلى الله عليه وسلم
وأتى به من عند نفسه وعلى تقدير كونها منقطعة يكون مقدرة ببل والهمزة أضرب من شرح صدره
بسببات على الإتيان بما أوحي إليه وعلى أن لا يضيق صدره بأن يقولوا لولا أنزل عليه كنز إلى إنكار
عليهم توهمهم ذلك قوله في البيان وحسن النظم جواب عما يقال كيف يكون ما يأتون به مثله وما يأتون به
مفترى وهذا غير مفترى أي ليس المراد من المماثلة أن يكون ما يأتون به مثل ما أوحي إليه في
كونه غير مفترى قوله تحداهم أولا بعشر سور وتصريح بأن هذه السورة متقدمة في النزول على آية سورة البقرة
وهي قوله تعالى وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله أي بسورة كائنة من مثل ما
نزلنا وعلى الآية التي في سورة يونس وهي قوله تعالى أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله لما تقدمها
على سورة يونس وإن كان كل واحدة منهما مكية فدليلا أن التحدي بعشر سور ينبغي أن يكون متقدما على التحدي
بسورة إذ لا معنى للتحدي بالعشر بعد التحدي بسورة وتبين عجزهم عن معارضتها فإنه بمنزلة أن يقال لرجل
أعطني درهما فيعجز فيقال له أعطني عشرة دراهم فإن هذا الدليل يقتضي أن تكون سورة هود متقدمة في النزول على
سورة يونس وإن كان كل واحدة منهما مكية قوله وتوحيد المثل ويجوز أن يقال المراد كل واحد من الأفراد المطابقة
لما هو من خصائص لفظ المثل لقوله تعالى أنؤمن لبشرين مثلنا وقوله تعالى حور عين كأمثال اللؤلؤ وقوله ثم
لا يكونوا أمثالكم والتعريض الشعر والقرض قرض الشعر إنشاء جاشة لما قرضت الشعر أوضحه إذا قطعته قوله
والعقبة تعليل لأن يجمع الضمير على وجه تعظيم الخطاب قوله ولذلك كان يكون لكم خطابا لهم وللمؤمنين أو له
خاصة على جهة التعظيم ورتب عليه ما بعده بالفاء الجزائية والمعنى إن لم يستجب هؤلاء المشركون لكم يا محمد ويا أصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم إلى ما دعوتموهم إليه من معارضة القرآن وإتيان عشر سور مثله وثبات عجزهم عنه بعد ما استفرغوا وسعهم
لكم فاعلموا أي اثبتوا على العلم الذي أنتم عليه تزدادوا يقينا وثبات قدم على أنه منزل من عند الله وأنه من جملة المعجزات الدالة على صدقه

عليه السلام في دعوى الرسالة والجزم بصدقه عليه السلام يستلزم الجزم بأن الشأن لا إله إلا هو وليس المراد بقوله
فاعلموا الأمر بالعلم لأنه عليه السلام والمؤمنين عالمون بالأمرين قبل نزول هذه الآية بل المراد الثبات على العلم
والزيادة فيه وكذا ليس المراد بقوله تعالى فهل أنتم مسلمون الكلام عن إحداثهم الإسلام بل المراد تثبيتهم
عليه وتقوية نشاطهم للرسوخ والإخلاص قوله مطلقا أي بالنسبة إليكم وإلى كل من دعوتم من دونه
ممن استطعتم وكلمة ما في قوله تعالى إنما أنزل بعلم الله يجوز أن تكون كافة مهيئة لدخول
على الفعل وأنزل ضمير يرجع إلى قوله ما يوحى وبعلم حال أي أنزل القرآن ملتبسا بما لا يعلمه إلا الله
من نظم معجز وإخبار بغيوب لا سبيل لهم إليه ويجوز أن تكون مصدرية أو موصولة اسما لأن وخبرها
الجار بعدها والتقدير فاعلموا أن تنزيله أو أن الذي أنزل ملتبس بعلم واختار المص الاحتمال الأول
ه للإمام فإن قلت أي تعلق بين الشرط المذكور في هذه الآية وبين ما فيها من الجزاء وأجاب
بأن القوم ادعوا كون القرآن مفترى على الله فقال لهم لو كان مفترى على الله لوجب أن يقدر
الخلق على مثله ولما لم يقدروا عليه ثبت أنه من عند الله قوله إنما أنزل بعلم الله كناية عن عند الله
ومن قبله كما يقول الحاكم جرى بعلمي قوله ويجوز أن يكون الكل خطابا للمشركين وذلك لأن الآية اشتملت
على خطابين أحدهما خطاب الرسول عليه السلام وهو قوله تعالى قل فأتوا بعشر سور والآخر خطاب الكفار
هو خطاب الكفار وهو قوله تعالى فأتوا وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم في ادعاء الافتراء فلذلك
جاز في خطاب لكم وجهان الأول أن المراد منه خطاب الرسول والمؤمنين أو للرسول خاصة على جهة التعظيم
وإن المعنى أن الكفار إن لم يستجيبوا لكم في الإيمان بما يأمره فاعلموا أي فاثبتوا على العلم الذي أنتم عليه من أنه
منزل من عند الله الذي لا إله إلا هو وفيه إشعار والتقدير فقولوا إنما المسكوت الكفار اعلموا
إنما أنزل بعلم الله والوجه الثاني أنه خطاب مع الكفار والمعنى أن الذين تدعونهم من دون الله إذا لم يستجيبوا لكم
في الإعانة على المعارضة فاعلموا أيها الكفار أن هذا القرآن إنما أنزل بعلم الله فهل أنتم مسلمون بعد لزوم الحجة
عليكم والقائلون بهذا القول قالوا هذا القول أولى من القول الأول لأن في القول الأول احتجتم إلى الحذف في قوله
فاعلموا أي فاثبتوا على العلم وعلى هذا القول لا حاجة إلى الإضمار فكان أولى ولأن أقرب المذكورين
هو الكفار فرجوع الضمير إليهم أولى قوله وفي المثل هذا الاستفهام يعني أن قوله تعالى فهل أنتم مسلمون وإن كان في لفظه
استفهاما إلا أن معناه أمر وإيجاب بتبع الإسلام لما ذكره من الدلائل ونظيره قوله تعالى فهل أنتم منتهون فإن قلنا
إنه خطاب المؤمنين كان معناه الثبات على الإسلام والازدياد من الإخلاص وإن قلنا إنه خطاب للكفار
كان معناه إيجاب أصل الإسلام عليهم وترغيبهم في التفكر فيما أتي من الحجة قوله نوف إليهم أعمالهم أي نوفر جزاء
يعني أن هذه الآية سواء نزلت في المؤمنين الذين عملوا الصالحات مراءاة للخلق أو في المنافقين الذين كانوا يطلبون
بغزوهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم الغنائم من غير أن يؤمنوا بالآخرة وثوابها أو في الكفار الذين يحسنون أعمالا في صور الأعمال الصالحة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)